

## المحاضرة الاولى:

### نبذة عن الفكر الاجتماعي والسياسي في العصور القديمة

يعد الفكر الاجتماعي من أقدم أشكال التفكير الإنساني، حيث ارتبط منذ نشأته بمحاولة الإنسان فهم ذاته ومجتمعه وتنظيم العلاقات بين الأفراد داخل الجماعة. وقد تجسد هذا الفكر في الحضارات القديمة الكبرى مثل الحضارة المصرية وحضارة بلاد الرافدين، حيث ارتبط بالدين والأسطورة والقانون، مما يعكس طبيعة المجتمعات التقليدية قبل ظهور التفكير العلمي الحديث.

تهدف هذه المحاضرة إلى تحليل مظاهر الفكر الاجتماعي في بعض الحضارات القديمة، مع تقديم أمثلة تاريخية ونفسيرها في إطارها الاجتماعي والاقتصادي، وذلك لفهم جذور التفكير الاجتماعي قبل نشأة علم الاجتماع كعلم مستقل.

### مفهوم الفكر الاجتماعي القديم

الفكر الاجتماعي هو مجموع الأفكار والتصورات التي تعكس فهم الإنسان لطبيعة المجتمع والعلاقات الاجتماعية. وفي الحضارات القديمة، لم يكن هذا الفكر مستقلاً، بل كان متداخلاً مع الدين والسياسة والاقتصاد، حيث كانت السلطة السياسية تستمد شرعيتها من الدين، وكانت القيم الأخلاقية تُعد جزءاً من النظام الاجتماعي العام. تتميز المجتمعات الشرقية القديمة بكونها مجتمعات تاريخية، أي أنها تمتلك تاريخاً مكتوباً، وذلك بفضل انتقالها من مرحلة الصيد والترحال إلى مرحلة الزراعة، وما تتطلبه من استقرار وتنظيم اجتماعي. وقد تميزت هذه المجتمعات بالتقدم في الجوانب الفنية والعلمية، وتركزت حول بناء اجتماعي متدرج الطبقات، ونظام سياسي واقتصادي قائم على المرجعية الدينية.

يمثل الفكر الاجتماعي انعكاساً لهذا البناء الاجتماعي والمثل التي اعتنقها المجتمع آنذاك. في هذه المحاضرة، سنستعرض الفكر الاجتماعي في ثلاث حضارات شرقية قديمة: مصر وابل والهند، مع التركيز على ملامح التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والديني والفكري فيها.

### تعريف الفكر السياسي

يقصد بالفكر السياسي ذلك النشاط العقلي الذي يقوم به الإنسان بهدف فهم الظواهر السياسية وتفسيرها، من خلال التأمل والتحليل واستخدام العقل. فهو يشمل مجموعة الأفكار والتصورات والنظريات والقيم التي تتعلق بتنظيم المجتمع، وممارسة السلطة، وتحديد طبيعة العلاقات السياسية داخل الدولة.

وبعبارة أدق، فإن الفكر السياسي هو مجموع ما ينتجه الإنسان من رؤى وتفسيرات حول قضايا مثل السلطة، والدولة، والحكم، والعدالة، والمشاركة السياسية. ولا يقتصر هذا الفكر على الفلاسفة أو العلماء، بل يشمل أيضا تصورات عامة الناس، وإن كانت تختلف من حيث العمق والمنهجية.

**أولا: الفكر الاجتماعي والسياسي في مصر القديمة**

## **1\_ ملامح الفكر الاجتماعي**

نستطيع تحديد ملامح الفكر او التفكير الاجتماعي في النواحي التاليه:

**أ) التدرج الطبقي** كان المجتمع المصري القديم مبنياً على نظام طبقي متدرج، يتصدره الفرعنة الذين جمعوا بين السلطة الدينية والسياسية، حيث اعتبروا أنفسهم شبه آلهة أو منحدرين عن الآلهة. يليهم طبقة الكهنة القائمين على الخدمة الدينية في المعابد، ثم قادة الجيش، وفئة الفنيين والصناع، وأخيراً طبقة الفلاحين.

يعكس هذا النظام الترابط الوثيق بين الدين والسياسة والاقتصاد؛ إذ أن أي تغيير في النظام الديني كان يؤثر مباشرة على النظامين السياسي والاقتصادي. وقد ارتبطت فكرة التوحيد الديني بالوحدة السياسية للدولة المصرية، كما حدث في عهد الملك مينا عند توحيد الوجهين القبلي والبحري.

**ب) الأفكار الاقتصادية** كان نظام الملكية في مصر القديمة مستمداً من حقوق الآلهة، فلا يحق للفرد امتلاك المعابد. وقد استُغلت حقوق الأراضي الزراعية لصالح الهيئات الدينية، بينما عمل الفلاحون كطبقة نصف أحرار، وكان نظام الرق موجوداً وفقاً لأعراف الحرب والغزوات، حيث انتقلت ملكية العبيد عن طريق الوراثة.

**ج) الأفكار الدينية** عكست الطقوس الدينية جميع نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفنية. فقد كان الفرعنة يمثلون السلطة الإلهية، بينما شكل الكهنة طبقة من النخبة المثقفة والقضائية. وكان لكل عشيرة معبود يحميها، وتوضح الأساطير القديمة التحالفات السياسية والتنافس الإقليمي.

وقد لعبت الديانة دوراً اقتصادياً مباشراً، حيث ربطت الآلهة بالزراعة وتربية الحيوان، وتقدست بعض الحيوانات لضمان الإنتاج الزراعي، مثل العجل أبيض والكبش آمنون. كما كان الكهنة مسؤولين عن التعليم الديني والعلمي، ما يعكس تأثير الفكر الديني على التنظيم الاجتماعي.

**د) القوانين والتشريعات** اهتم المصريون القدماء بالقوانين والتشريعات، حيث وثقت على أوراق البردي وجدران المعابد. ووحد الملك مينا القوانين في الوجهين القبلي والبحري، وطوروا نظاماً دستورية ولا مركزية قائمة على المدن كوحدات سياسية متكاملة.

هـ) الطوطمية أدخل السكان القدماء لمبادئ الطوطمية، التي تقوم على الاعتقاد بوجود كيان غير بشري يمثل جد الجماعة القرابية، ويُطلق اسمه على الجماعة أو أعضائها. وقد كان للنظام الطوطمي نفوذ اجتماعي وسياسي في مصر منذ حوالي 4000 قبل الميلاد، حيث مارس كبار السن الحكم وفرضوا التقاليد الدينية.

و) أسطورة أوزوريس تمثل أسطورة أوزوريس انتقال المجتمع المصري من النظام العشائري إلى النظام العائلي والملكي. فقد جسد أوزوريس ملك الدلتا، وحوريس ابن أوزوريس، التنافس بين مناطق مختلفة ومبادئ الخصب الزراعي، بينما رمز ست إلى قوى المعارضة والاضطراب. وقد انعكس هذا في التنظيم الاجتماعي والسياسي وطقوس الزراعة والفيضان السنوي للنيل، مع التأكيد على دور الفرعون كوسيط بين الآلهة والشعب.

## 2\_ خصائص الفكر الاجتماعي في الحضارة المصرية

يتميز بعدة خصائص أساسية:

أ) الطابع الديني حيث ارتبطت الحياة الاجتماعية بالدين ارتباطاً وثيقاً والاعتقاد بالحياة بعد الموت أثر في السلوك الإنساني والتركيز على القيم الروحية والأخلاقية.

ب) الطابع الأخلاقي تميز بالدعوة إلى الصدق، العدل، واحترام الآخرين، والاهتمام بالضمير الإنساني وتنظيم السلوك، وظهور نصوص أخلاقية مثل "تعاليم الحكمة"

ج) الطابع العملي ارتباط الفكر بالحياة الزراعية وتنظيم المجتمع ووجود قوانين وأعراف لضبط العلاقات الاجتماعية.

## 3\_ الفكر السياسي في مصر القديمة

يرتبط ظهور الفكر السياسي في مصر الفرعونية بانتقال المجتمع من مرحلة التفرق القبلي في عصر ما قبل الأسرات (حوالي 4000 ق.م) إلى مرحلة الوحدة السياسية، وقد ساهمت عدة عوامل في هذا التحول، أبرزها نهر النيل ومشروعات الري وتوحيد البلاد على يد الملك مينا.

### أ) الفكر السياسي في الدولة القديمة (نظرية الملك الإله)

يقوم النظام السياسي في هذه المرحلة على فكرة تأليه الملك (الفرعون)، حيث اعتُبر تجسيداً للإله حورس الحاكم المطلق الذي يجمع بين السلطة الدينية والسياسية وذلك من خلال المنطلقات الفكرالسياسي لمفهوم ماعت" كقاعدة

للحكم. والتي تعني العدل والنظام والاستقامة وأن الفرعون هو الوسيط الوحيد بين البشر والآلهة. وقد تميز الفكر السياسي في الدولة القديمة على الخصائص التالية:

\_ غياب القوانين المكتوبة (لأن إرادة الملك هي القانون).

\_ القضاء قائم على العادات والتقاليد.

\_ جهاز إداري يعمل نيابة عن الفرعون.

أما البنية الاجتماعية والسياسية للدولة فقد تميزت بالنظام الهرمي \_ رأسه الفرعون يليه الوزراء ثم حكام الأقاليم وقاعدته الشعب \_ وهيمنة الدين على الحياة السياسية. كما انه تميزت بوجود طبقات اجتماعية مع إمكانية محدودة للحراك الاجتماعي .

### ب) الفكر السياسي في الدولة الوسطى (الملك الراعي الصالح)

شهدت هذه المرحلة تطوراً مهماً في الفكر السياسي

أبرزها الانتقال من فكرة الملك الإله إلى الملك الراعي الصالح وبرز الوعي الاجتماعي وقيم العدالة والمساواة وظهور اللامركزية وتقوية نفوذ حكام الأقاليم.

ومن خصائص الفكر السياسي في الدولة الوسطى الاعتراف النسبي بحقوق الأفراد والجمع بين سلطة الملك واستقلال الإدارات المحلية واستمرار الطابع الديني للنظام مع بعد إنساني جديد.

وبعد غزو الهكسوس على مصر حوالي 1730-1570 ق.م أثر هذا الوضع الجديد على التفكير السياسي في هذه المرحلة بزعة الثقة في الآلهة والنظام السياسي وتحول الفكر السياسي نحو الاهتمام بالشؤون العسكرية والخارجية بروت فكرة الوحدة الوطنية لمواجهة العدو

### ج) الفكر السياسي في عصر الإمبراطورية

تميزت هذه المرحلة باتساع الدولة وتحولها إلى قوة إمبراطورية وظهر ذلك فيما يلي:

\_ استمرار مركزية الملك مع توسع الجهاز الإداري .

\_ ظهور مناصب كبرى مثل كبير كهنة آمون ونائب الملك في كوش واصبح تسيير إدارة الأقاليم البعيدة عبر مندوبين ومفتشين. نتج عن ذلك اتساع الفجوة بين الطبقات وظهور طبقة وسطى جديدة وضعف النشاط الاجتماعي ودخول عناصر أجنبية في الجيش والإدارة

تكشف التجربة المصرية القديمة عن نموذج مبكر للدولة المنظمة التي جمعت بين السلطة الدينية والسياسية، وتطورت من نظام مغلق ومستقر إلى نظام إمبراطوري منفتح ومعقد، مما أدى في النهاية إلى تفككه.

كما تمثل هذه التجربة إحدى اللبنة الأساسية التي مهدت لظهور الفكر السياسي في الحضارات اللاحقة، خاصة اليونانية والرومانية. في هذا الموضوع يمكن مراجعة كتاب "المدخل في علم السياسة" لبطرس غالي ومحمود عيسى: مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ط 1998.

## ثانياً: الفكر الاجتماعي في بابل

### 1\_ التدرج الطبقي

كان الكلابانيون، أقدم سكان بابل، متفرغين للطقوس الدينية والفلسفة، ويشكلون طبقة معفاة من الضرائب. يليهم طبقة الجنود الضرورية للحفاظ على استقرار الدولة الأشورية واسعة الحدود، ثم الملك باعتباره القائد الأعلى والمرجععية الإلهية على الأرض.

### 2\_ الطبقة العامة

تكونت من التجار والفلاحين، وتميزت بعلاقات اقتصادية واجتماعية محددة، بينما كان رجال القصر والكهنة يتميزون بالزى المميز والرموز الخاصة بكل وظيفة.

### 3\_ الدين

كان الدين البابلي متعدد الآلهة، يعكس خصائص البشر، مثل الآلهة المحاربة وآلهة الخصوبة، ولم يفرق البابليون بين الملك والإله، حيث كان الملك محاطاً بالعبادة والاحترام المطلق.

### 4\_ العلم والمعرفة

سجل البابليون أفكارهم في مصنفات شاملة للتاريخ والدين والأساطير، واحتوت على معلومات فلكية ورياضية وتنجيم وسحر، مما يعكس الارتباط الوثيق بين الفكر الديني والمعرفة العلمية المبكرة.

## ثالثاً: الفكر الاجتماعي والسياسي في الهند القديمة

### 1\_ الفكر الاجتماعي الهندي

أ) **الطبقية** اعتمد المجتمع الهندي القديم على التفاوت الطبقي، حيث تصدرت طبقة البراهما، وهي طبقة رجال الدين، السلم الاجتماعي. وقد اعتبرت ممتلكاتهم مقدسة، ويجب احترامها من قبل الملوك، وقد فرضت عليهم قيود صارمة مثل منع الاختلاط والزواج مع غيرهم من الطبقات الأدنى.

ب) **الدين والسياسة** اعتبرت السلطة السياسية مستمدة من السلطة الإلهية الكبرى (براهما)، وكان تنظيم المجتمع مبنياً على توريث المركز الاجتماعي وضرورة الالتزام بالتقاليد والعرف لكل طبقة.

ج) **البوذية** مثلت البوذية ثورة على التفرقة الطبقيّة، إذ دعت المساواة بين الطبقات عبر المبادئ الأخلاقية والسلوكيات العملية، وركزت على تحرير الفرد من نزواته وشهواته، مع التأكيد على تحقيق حياة فاضلة خالية من الآلام والذنوب. رغم ذلك، لم تؤسس البوذية لنظم سياسية أو اقتصادية شاملة كما في مصر القديمة.

## 2\_ الفكر السياسي الهندي

يعد الفكر السياسي الهندي القديم من أبرز نماذج الفكر السياسي في الحضارات الشرقية، حيث تميز بالغمى والتنوع، واهتم بدراسة الظاهرة السياسية في ارتباطها بالدين والأخلاق والمجتمع. ولم يكن هذا الفكر منفصلاً عن الإطار الثقافي العام، بل جاء معبراً عن رؤية شاملة تسعى إلى تفسير نشأة السلطة السياسية ووظيفتها وحدودها داخل المجتمع.

فيما يتعلق بنشأة السلطة السياسية، يقوم التصور الهندي القديم على فكرة قريبة من نظرية العقد الاجتماعي، إذ يفترض وجود حالة طبيعية سابقة على قيام الدولة. وقد اختلف المفكرون في وصف هذه الحالة، فاعتبرها البعض حالة سلام ونظام، بينما رأها آخرون حالة صراع وفوضى، في حين ذهب فريق ثالث إلى اعتبارها حالة أسطورية. غير أن القاسم المشترك بينهم هو أن هذه الحالة انتهت بظهور الشرور، مما استدعى إقامة نظام سياسي ينظم حياة الناس.

وبناء على ذلك، نشأت السلطة السياسية من خلال عقد بين الحاكم والمحكومين، يلتزم بموجبه الحاكم بحماية المجتمع والحفاظ على النظام، في مقابل التزام الأفراد بالطاعة ودفع الضرائب. وقد أُضفي على الحاكم طابع مقدس مستمد من الدين، غير أن هذه القداسة لم تكن مطلقة، بل ظلت مقيدة بوظيفته الأساسية المتمثلة في تحقيق الأمن والعدل.

## 3\_ مميزات الفكر السياسي الهندي القديم

ومن أهم ما يميز الفكر السياسي الهندي القديم أنه لم يقر بالسلطة المطلقة للحاكم، بل أكد خضوعه لقواعد النظام الاجتماعي، وربط شرعيته بمدى التزامه بواجباته. فإذا أحل الحاكم بهذه الواجبات، فقد مبرر بقائه في السلطة، وهو ما فتح المجال لظهور فكرة حق المعارضة السياسية. وقد تدرجت هذه المقاومة من مجرد الرفض السلبي وعدم التعاون،

إلى أشكال أكثر تطرفاً كالسعي إلى عزل الحاكم أو التخلص منه، وهو ما يعكس وعياً مبكراً بمسؤولية السلطة أمام المجتمع.

وفي جانب آخر، قدم الفكر الهندي تصوراً عضوياً للمجتمع والدولة، أو النظرية العضوية للمجتمع والدولة، حيث اعتبر المجتمع كيانا مكونا من طبقات لكل منها وظيفة محددة تسهم في تحقيق التوازن العام. غير أن هذا التصور ارتبط بنظام طبقي واضح، حيث لم تكن الحقوق متساوية بين الأفراد، بل تحددت وفقا لمكانة كل طبقة في البناء الاجتماعي. أما فيما يتعلق بعلاقة السياسة بالأخلاق، فقد اتسم الفكر الهندي بالتعدد والتناقض. فهناك اتجاه يرى أن مصلحة الدولة هي الغاية العليا، مما يبرر تجاوز القيم الأخلاقية عند الضرورة، وهو ما يشير إلى نزعة براغماتية مبكرة. وفي المقابل، ظهر اتجاه آخر، خاصة في الفكر البوذي، يدعو إلى إخضاع السياسة للأخلاق بشكل كامل، ويرى ضرورة الالتزام بالقيم الإنسانية في ممارسة الحكم.

كذلك تناول الفكر السياسي الهندي علاقة السياسة بالدين، حيث بدأت هذه العلاقة بالاندماج الكامل، إذ كانت السياسة جزءاً من النظام الديني، ثم تطورت نحو نوع من الاستقلال النسبي، وصولاً إلى مرحلة أصبح فيها الدين يُستخدم أداة لخدمة الأهداف السياسية. ويعكس هذا التطور مساراً فكرياً مهماً نحو التمييز بين المجالين الديني والسياسي.

#### رابعاً: الفكر السياسي الصيني القديم

يعد الفكر السياسي الصيني القديم من أبرز نماذج الفكر السياسي في الحضارات الشرقية، حيث ارتبطت السياسة فيه بالأخلاق والنظام الاجتماعي. وقد تجلت أهم ملامحه من خلال أفكار مفكرين بارزين هما كونفوشيوس ومانشيوس، اللذان قدما رؤيتين إصلاحيتين لمعالجة الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي عرفتها الصين القديمة.

سوف نتعرض للمميزات الفكر السياسي الصيني وللاتجاهات الاساسيه في الفكر السياسي الصيني القديم من خلال اهم مفكرين عرفتهما تقاليد هذا الفكر وهما كونفوشيوس ومانشيوس

#### 1\_ مميزات الفكر السياسي الصيني: يتميز الفكر السياسي الصيني بعدة سمات أهمها:

- أ) العلمانية: بقي العنصر الديني في الحياة الصينية أساساً غير مدعم بالتنظيم و المؤسسات الدينية.
- ب) الاكتفاء الذاتي: الفكر الصيني كله مشتق من خبرة تقاليد ثقافية واحدة فلم يستقبل أية مؤثرات هامة من الثقافات الخارجية.

ج) العملية: مشكلة هذا الفكر الأساسية هي كيفية تحقيق النظام والاستقرار والامن في عصور الاضطراب والفوضى والانحلال.

## 2\_ الاتجاه الفكري الصيني عند كونفوشيوس

### أ) نظرية الحكم عند كونفوشيوس

عاش كونفوشيوس بين سنتي 551 ق.م و 479 ق.م و هو أحد أبرز مفكري الصين وفي فترة اتسمت بالصراعات السياسية والحروب بين الدويلات الإقطاعية، إضافة إلى تصاعد التوتر بين الطبقة الأرستقراطية والعامية. وقد دفعه هذا الواقع إلى البحث عن وسائل لإعادة الاستقرار، فوجد في التقاليد الصينية القديمة أساساً لإصلاح المجتمع، مع اعتماد نظرة تجديدية تسمح بتكييف هذه التقاليد مع متطلبات الحاضر والمستقبل.

وفيما يتعلق بنظرية الحكم عنده يرى أن الحكم المثالي يقوم على الفضيلة والأخلاق، وليس على القوة والعقاب. لذلك وضع ترتيباً لأساليب الحكم، حيث تأتي القدوة والإقناع في المرتبة الأولى، بينما تأتي العقوبات في أدنى المراتب. كما اعتبر أن الوظيفة الأساسية للدولة هي تربية الأفراد أخلاقياً، ثم تحقيق رفاهيتهم المادية، في حين تبقى وظيفة الدفاع مجرد ضرورة ثانوية تعكس قصور النظام المثالي.

### ب) موقفه من السلطة والفرد

لم يؤيد كونفوشيوس فكرة السلطة المطلقة، بل دعا إلى تقييدها بالقيم الأخلاقية. كما منح الفرد مكانة مهمة، حيث اعتبر أن قيمة الإنسان تقوم على كفاءته لا على نسبه، وأقرّ بإمكانية الحراك الاجتماعي. كذلك احتفظ الفرد بحقه في تقييم الدولة وتحديد مدى استحقاقها لولائه، وهو ما يعكس نزعة إنسانية ذات بعد قريب من الفكر الديمقراطي.

### ج) أثر الفكر الكونفوشيوسي

كان لأفكار كونفوشيوس تأثير كبير في استقرار المجتمع الصيني، إذ أصبحت مرجعاً أساسياً للفكر السياسي اللاحق. وقد شكّلت الكونفوشيوسية إطاراً فكرياً لا يمكن تجاوزه، حيث انطلق منها معظم المفكرين الذين جاؤوا بعده، سواء بالتأييد أو بالنقد.

## 3\_ الاتجاه الفكري الصيني عند مانشيوس

### أ) مانشيوس وألوية الشعب

جاء مانثيوس في مرحلة شهدت اضطرابات أشد، فطور أفكار كونفوشيوس وأعاد ترتيب أولويات الدولة. إذ اعتبر أن المهمة الأولى للحكومة هي تحقيق الرفاه المادي للشعب، لأن الإنسان الجائع لا يمكن أن يتحلى بالفضيلة. ثم تأتي بعد ذلك وظيفة التربية الأخلاقية.

### ب) الشعب أساس الدولة

أكد مانثيوس أن الشعب هو أساس الدولة وجذرها الحقيقي، بينما يعد الحاكم عنصراً ثانوياً. ولذلك شدد على أن مصلحة الشعب يجب أن تتقدم على أي اعتبار آخر، رافضاً أن تكون هناك مصلحة للحاكم تعلق على رفاهية المواطنين.

### ج) حدود سلطة الشعب

رغم تأكيد مانثيوس على أهمية الشعب، إلا أن فكره لم يصل إلى حد الدعوة لمشاركته في الحكم، بل ظل أقرب إلى نموذج الحكم الأبوي، حيث ينظر إلى الحاكم بوصفه راعياً مسؤولاً عن رعاية شعبه وتحقيق مصالحه.

### د) موقفه من الحرب والعلاقات الدولية

اتخذ مانثيوس موقفاً أخلاقياً واضحاً من الحروب، فرفضها واعتبرها مصدراً للشروع. ودعا إلى تسوية النزاعات بين الدول بوسائل سلمية قائمة على العدالة والتحكيم، مؤكداً أن القواعد الأخلاقية التي تحكم العلاقات بين الأفراد يجب أن تمتد إلى العلاقات بين الدول.

يتضح أن الفكر السياسي الصيني القديم يقوم على أساس أخلاقي، حيث ينظر إلى الحكم باعتباره مسؤولية أخلاقية قبل أن يكون سلطة سياسية. وقد أكد هذا الفكر على أهمية الشعب ورفض الحكم المطلق، لكنه ظل في إطار أبوي إصلاحية، يجمع بين النزعة الأخلاقية والحرص على الاستقرار الاجتماعي.

### رابعاً: الفكر الاجتماعي والسياسي عند اليونان

شهدت بلاد اليونان القديمة تطورات حضارية مبكرة منذ العصر البرونزي، خاصة في جزيرة كريت التي تأثرت مبكراً بالحضارات الشرقية مثل مصر وفينيقيا. وقد أدى هذا الاتصال إلى ازدهار الحضارة الكريتية وتشكل نظام سياسي ملكي قوي حوالي الألفية الثانية قبل الميلاد، قائم على التنظيم الاقتصادي والتبادل التجاري. ورغم ما تعرضت له هذه الحضارة من انهيارات مؤقتة، فإنها عادت للنهوض مجدداً، مما يدل على ديناميكية البنية الاجتماعية في المنطقة.

لقد ساهم هذا التطور التاريخي في خلق بيئة فكرية خصبة، حيث بدأت الأسئلة المتعلقة بتنظيم المجتمع، والسلطة، والعلاقات الاجتماعية في الظهور، وهو ما مهّد لنشأة التفكير الاجتماعي عند اليونان.

أولاً: تأثير الحروب والأزمات على تطور الفكر الاجتماعي

عرفت المدن اليونانية، وخاصة أثينا، سلسلة من الحروب الكبرى مثل الحروب الفارسية والصراع مع إسبرطة، وهو ما أدى إلى زعزعة الاستقرار السياسي والاجتماعي. وقد كشفت هذه الأزمات عن ضعف النظم التقليدية، وانتشار الفساد والنزعة الفردية والانتهازية داخل المجتمع.

في هذا السياق، برزت الحاجة إلى إعادة التفكير في أسس التنظيم الاجتماعي والسياسي، وظهرت دعوات لإقامة نظام أكثر عقلانية وعدالة. ومن هنا، يمكن القول إن الفكر الاجتماعي اليوناني لم يكن مجرد تأمل نظري، بل جاء استجابة لأزمات واقعية عاشها المجتمع.

## 1\_ نظام دولة المدينة وأثره في تشكيل الفكر الاجتماعي

تميزت اليونان القديمة بعدم وجود دولة مركزية موحدة، بل كانت تتكون من مجموعة من دول المدن (Polis)، مثل أثينا وإسبرطة. وقد تمتعت كل مدينة باستقلالها السياسي، وهو ما أوجد تنوعاً في النظم الاجتماعية والسياسية. ساهم هذا النظام في تعزيز قيمة الحرية والمشاركة السياسية، خاصة في أثينا، حيث شارك المواطنون في إدارة شؤون الدولة. كما أدى صغر حجم المدينة إلى وجود نوع من التجانس الاجتماعي والفكري، مما ساعد على نشوء مفهوم "الشعور الجماعي"، الذي كان أساساً للعديد من النظريات المثالية حول المجتمع.

## 2\_ الخصائص العامة للفكر الاجتماعي اليوناني

يمكن تلخيص أهمها في ما يلي:

- الطابع الفلسفي التأملي: اعتمد اليونانيون على التفكير العقلي والاستدلالي أكثر من الملاحظة التجريبية.
- الاهتمام بالمجتمع المثالي: سعى الفلاسفة إلى تصور نموذج مثالي للدولة والمجتمع.
- النزعة الأخلاقية: ارتبط التفكير الاجتماعي لديهم بالقيم الأخلاقية والفضيلة.

وقد ظل هذا الطابع الاستدلالي سائداً حتى العصر الحديث، حيث بدأ المنهج العلمي التجريبي في الظهور مع مفكرين مثل أوغست كونت.

غير أن أهم ما في التفكير الاجتماعي والسياسي اليوناني افلاطون، ارسطو، سقراط والسوفسطائيون

## أ) أفلاطون ونظرية المجتمع المثالي

يعد أفلاطون من أبرز ممثلي الاتجاه المثالي في الفكر الاجتماعي. في كتابه الجمهورية، قدّم تصورا متكاملًا لمجتمع مثالي يقوم على العدالة وتقسيم العمل.

ورأى أن العدالة تتحقق عندما يؤدي كل فرد وظيفته دون تدخل في شؤون الآخرين. كما أكد على ضرورة سيطرة العقل والحكمة على الحكم، رافضًا الديمقراطية التي قد تؤدي - في نظره - إلى الفوضى.

## ب) أرسطو وتحليل المجتمع الواقعي

يعتبر أرسطو أكثر واقعية من أستاذه أفلاطون، حيث ركز على دراسة المجتمعات القائمة بدلا من تخيل مجتمع مثالي. في كتابه السياسة، درس أنواع النظم السياسية وقرن بينها.

اعتبر أرسطو أن الإنسان "كائن اجتماعي بطبعه"، وأن الدولة ظاهرة طبيعية تنشأ لتلبية حاجات الإنسان. كما أكد على أهمية الطبقة الوسطى في تحقيق الاستقرار، ورأى أن أفضل نظام هو الذي يحقق التوازن بين مختلف فئات المجتمع.

ويمثل أرسطو بداية الاتجاه العلمي في دراسة الظواهر الاجتماعية، لاعتماده النسبي على الملاحظة والمقارنة.

## ج) سقراط والمنهج النقدي في التفكير الاجتماعي

يعد سقراط من أوائل المفكرين الذين ساهموا في تطوير التفكير النقدي. لم يترك مؤلفات مكتوبة، لكن أفكاره وصلت إلينا عبر تلاميذه. وركز سقراط على أهمية التعريف الدقيق للمفاهيم ونقد المعتقدات السائدة وربط السياسة بالأخلاق.

## د) السوفسطائيون والنسبية الاجتماعية

مثل السوفسطائيون تيارا فكريا مهما، حيث شككوا في القيم المطلقة، واعتبروا أن القوانين والأعراف من صنع الإنسان وليست طبيعية، وأكدوا على نسبية الحقيقة وارتباط المعرفة بالمصلحة وساهموا في إثارة النقاش حول طبيعة المجتمع والقانون.

في الاخيرنشير الى أن الفكر الاجتماعي اليوناني لم يتطور في عزلة، بل تأثر بالحضارات الشرقية القديمة مثل الحضارة المصرية والبابلية والآشورية والحضارة الفارسية وتم هذا التأثير عبر التجارة والحروب والرحلات العلمية.